مجلة شهرية قرآنية، تربوية، تعليمية، ثقافية
تصدر عن دار السيدة رقية (ع) للقرآن الكريم
السنة الرابعة العدد ٤٧ و٤٨ محرم وصفر ١٤٣٦

لقد مثّلت ملحمة كربلاء صوراً رائعة وقطعاً حيّة من آيات الذكر الحكيم، أعطت تفسيراً نموذجياً ملموساً لبيان المعاني والمفاهيم التي تحملها الآيات الكريمة. فالمتمعّن في بيانات الثورة الحسينية والخطب التي أطلقها الإمام الحسين(ع) منذ إعلانه الرحيل إلى كربلاء وحتى نزوله واستشهاده فيها، وكذا مواقفه وأفعاله من حركاته وسكناته هو وأهل بيته وأصحابه، يمكن له أن يستوحي مصاديق كثيرة تحيي معاني القرآن الكريم.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال:

«إن العزيــز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر الســماء والأرض ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجبتم».

(الكافي، ج2، ص599)

أحداث الشهر

محرم

١ رأس السنة الهجرية هـ / غزوة ذات الرقاع.

٢ وصول سيد الشهداء الإمام الحسين إلى كربلاء سنة ٦١ هـ .

٧ منع الماء عن أهل البيت في كربلاء.

١٠ ذكرى يوم عاشــوراء (واقعة الطف) /استشــهاد الإمام الحســين وأهل بيته وصحبه (عليهم السلام) ٦١هـ .

١٣ دفن شهداء الطف (الحسين وأهل بيته عليهم السلام).

٢٥ ذكرى وفاة الإمام علي بن الحسين (ع) ٩٥هـ / معركة القادسية ١٤هـ .

صفر

١ دخول قافلة السبايا و الرؤوس إلى الشام ٦١هـ / واقعة صفين ٣٧هـ.

٧ شــهادة الإمام الحســن المجتبى ٥٠هـ / ميلاد الإمام الكاظم (عليه السلام) ١٢٨هـ.

٨ وفاة سلمان المحمدي (الفارسي) عام ٣٥ هـ.

٩ شهادة الصحابي عمار بن ياسر في صفين عن ٩٣سنة / معركة النهروان ٣٨ هـ.

١٧ شهادة الإمام الرضا (عليه السلام) ٢٠٣هـ.

٢٠ أربعينية الإمام الحسين / ورود السبايا إلى كربلاء في طريقهم إلى مدينة جدهم رسول الله (ص) ٦١ هـ.

٢٨ ذكرى رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنة ١١ هـ.

قالوا في القرآن

أيّها النـــاس دقّقوا في القرآن حتى تظهر لكم حقائقه فكل هذه العلوم والفنون التي اكتسبها العرب وكل صروح المعرفة التي شيّدوها إنّما أساسها القرآن.

ينبغـــي على أهل الأرض على اختـــلاف ألوانهم ولغاتهم أن ينظـــروا بعين الانصاف إلى ماضـــي العالم ويطالعـــوا صحيفة العلوم والمعارف قبل الإســـلام ويتعرّفـــوا بأنّ العلم والمعرفـــة لـــم تنتقل إلى أهـــل الأرض إلا عبر المســـلمين الذين اســـتوحوا هذه العلوم والمعارف من القرآن كأنّه بحر من المعارف تتفرّع منه الأنهار.

القرآن لا يزال حيّاً وكل فرد قادر على أن يستقي منه حسب إدراكه واستعداده.

الخبير الفرنسي جول لابوم

المباني القرآنية لنهضة عاشوراء

د. محمد علي رضائي الإصفهاني
الأستاذ المساعد في جامعة المصطفى (ص) العالمية

مقدّمة

إذا تأملنا حركة الإمام الحسين(ع) من المدينة إلى كربلاء، وحلّلنا ما فيها من توجيهات وخطابات ومواقف، يتضح لنا أنّ نهضته(ع) في عاشوراء كانت مبنيّة على تعاليم القرآن الأساسية المتينة، وأنّ معرفة هذه المباني تجعل من هذه النهضة قدوة لكلّ محبي القرآن ومتبعيه؛ ذلك لأنّ هذه النهضة تبيِّن الوظيفة القرآنية لكلّ المسلمين على مدى التاريخ، أي: إنّه كلّما واجه المسلمون ظروفاً مشابهة لظروف زمان الإمام الحسين(ع)، تعيّن عليهم ـ بناءً على تلك المباني القرآنية ـ أن يسلكوا سبيل الإمام الحسين(ع) في حركته الإصلاحية الشاملة.

و بعبارة أخرى: من خلال استنباط المباني القرآنية لنهضة عاشوراء تتحول حركة الإمام الحسين(ع) إلى حركة قرآنية، وتصبح قدوةً لكلّ المسلمين.

المقصود من المباني القرآنية

إن المراد من المباني القرآنية هي النظريات المسلّمة المستنبطة من تعاليم القرآن الكريم، والتي شكّلت أرضية قيام الإمام الحسين(ع)، وبعبارة أُخرى: هي المستندات القرآنية العامة، والتي منها المستندات والنظريات المستنبطة لنهضة عاشوراء.

هذه المباني تشمل أوامر الله تعالى والتي وجهها بشكل مباشر إلى كلّ المسلمين، على الصعيد الاجتماعي والتربوي والسياسي والثقافي والجهادي؛ كما تشمل أيضاً التعاليم القرآنية غير المباشرة، والتي يمكن استخراجها من كلمات وسيرة الإمام الحسين(ع)، بالاستعانة بقاعدة الجري والتطبيق، وقاعدة بطون القرآن.

إذاً فاستنباط المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، يتم من خلال استخدام القواعد التفسيرية القرآنية، كقاعدة الجري والتطبيق، وقاعدة حجية ظواهر القرآن، وأُسلوب التفسير الروائي، والتفسير الإشاري (الباطني).

مصادر استنباط المباني القرآنية لنهضة عاشوراء

إنّ المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لاستنباط المباني القرآنية لنهضة الإمام الحسين(ع)، هي عبارة عن:

١ـ كلمات الإمام الحسين(ع).
٢ـ رسائل الإمام الحسين(ع).
٣ـ سلوك الإمام الحسين(ع).

فهذه المصادر نابعة من قلب هذه الثورة، ومستندة إلى قائدها العظيم.

أهمّ مباني نهضة عاشوراء

أوّلاً: إعلاء كلمة الله تعالى

نقل أنّ الإمام الحسين(ع) أثناء مسيره إلى كربلاء، التقى بالفرزدق في منزل صفاح، وتحدّث معه، وبيّن أنّ هدفه النهائي ـ بل الأساسي ـ من هذه النهضة المباركة هو إعلاء كلمة الله تعالى، وإيجاد الآليات والضمانات التي تساعد في الحفاظ عليها، فقال(ع): «وأنا أوْلى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا» [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ص٤٠٨].

وعند ملاحظة هذا المبنى الذي جعله الإمام الحسين(ع) أحد أهمّ مباني نهضة عاشوراء ـ بل هو المنطلق الأساس لها ـ نجد كلامه(ع) قد نظر واستند به إلى آية قرآنية؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [سورة التوبة،٤٠].

ثانياً: نصرةَ الدين وإعزاز شريعة الله تعالى

إن هذا المبنى وهذا الهدف من أهم الأهداف في الإسلام ومن الأُسس التي تستحق أن يُبذل من أجلها الغالي والنفيس، بل حريٌ بالمرء أن يبذل مهجته من أجل ذلك، وهذا الهدف السامي قد صرّح به الإمام(ع) وبيّن أنه مأخوذ بنظر الاعتبار في نهضته المباركة في كلامه الذي مرّ معنا في قوله(ع) للفرزدق: «وأنا أوْلى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله».

فإنّ المنطلقات التي بيّنها الإمام الحسين(ع) في كلمته هذه ـ والتي تبيّن أحد أهمّ منطلقات ثورة الإصلاح ـ مرتكزة إلى آيات قرآنية متعددة؛ بل إنّ روح القرآن الكريم بشكل كلّي، تدعو إلى نصرة دين الله وإعزازه.

قال تعالى: ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [سورة الأنفال،٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله﴾ [سورة البقرة،١٩٣].

نعم، لقد نصر الإمام الحسين(ع) دين الله سبحانه، كما نصر الله تعالى نهضة الإمام الحسين(ع)، فقد انتصر دم الإمام الحسين(ع) على سيف الظالمين، كما تحقق هدفه في عزّة دين الإسلام؛ فقد استمر هذا الدين الحنيف بفضل تلك الدماء الزاكيات، فبعد أربعة عشر قرناً، لا تزال نهضة عاشوراء حيّة، ولا تزال قدوة لكل أهل العالم، وأمّا أعداء الحسين(ع) فقد اندحروا واندثروا في غياهب الزمن.

ثالثاً: الجهاد لحفظ الإسلام

إنّ مبدأ الجهاد وتشريعه في الديانات السابقة من الأمور المسلمة؛ فقد نص القرآن الكريم على حدوث معارك بين جبهة الحق والباطل، وذلك في زمن النبي طالوت، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة، ٢٤٩]، وهذا المبدأ والهدف جاء أيضاً في كلام

السلام على من بكته ملائكة السماء

فقرة من زيارة الناحية المقدسة

الإمام الحسين(ع) عندما لاقى الفرزدق في مسيره إلى كربلاء، حيث قال: «يا فرزدق، إنّ هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين؛ وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا» [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع)، ص٤٠٨].

و نقل أيضاً أنّه لمّا دعا مروان الإمام الحسين(ع) إلى بيعة يزيد في المدينة، قال الإمام(ع): «وعلى الإسلام السلام ،إذ قد بليت الأُمّة براع مثل يزيد» [الفتوح، ابن أعثم الكوفي، ج٥، ص١٧. مقتل الحسين، الخوارزمي، ج١، ص١٨٤. نقلاً عن موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع)، ص٣٤٦].

فكلمة الإمام الحسين(ع) هنا تشير إلى الفساد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تفشى في المجتمع آنذاك؛ فقد كان أصل الإسلام في تلك الظروف عرضة للخطر.

ونتيجة لهذا؛ أصبح الجهاد واجباً في سبيل حفظ الإسلام؛ لأنّ حفظ الإسلام أهمّ الواجبات الإلهية.

فهذا الخطاب الحسيني يشير إلى أحد أهمّ مرتكزات نهضة عاشوراء، ألا وهو الجهاد في سبيل الله، ولا يخفى فإنّ الجهاد أحد المفاهيم القرآنية المهمّة في الإسلام، والتي أُشير إليها في آيات متعددة، وللجهاد أهداف وغايات مصيرية لا تتحقق إلاّ به.

ومن هنا فإنّ جهاد الإمام الحسين(ع) كان تحقيقاً لتلك الأهداف الإنسانية والإسلاميّة والقرآنية، واستشهد في سبيل ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال،٧٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة،٧٣].

رابعاً: طلب الإصلاح

روي أنّ الإمام الحسين(ع) كتب وصية وأودعها عند أخيه محمد بن الحنيفة في المدينة، وقد ذكر في هذه الوصية أهداف نهضته(ع) جاء فيها: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي؛ أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب» [بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩].

فقد كان أحد أهداف ثورة الإمام الحسين(ع) هو إصلاح الأُمّة الإسلامية، في كافّة الأبعاد الفردية والاجتماعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية.

ويعتبر طلب الإصلاح أحد أهمّ أهداف الأنبياء(ع)، والتي بيِّنت في القرآن الكريم بشكل واضح، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب(ع): ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [سورة هود،٨٨]. وقال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء،١١٤].

خامساً: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

لقد عدّ الإمام الحسين(ع) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهداف نهضته الأساسية؛ وهو صريح وصيته المشهورة التي جعلها عند أخيه محمد بن الحنفية في المدينة قال(ع): «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليبن أبي طالب».

إنّ الأمر بالمعروف وسيلة لحفظ فضائل المجتمع، والتذكير المستمر بها، وبالوظائف التي على المسلم أن يتحلى بها، ويعمل على وفقها، كما أنّ النهي عن المنكر وسيلة تنقية دائمة للمجتمع، وتصفيته من الرذائل والانحرافات الفكرية والعملية.

ومن هنا يعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع الدين، وقد أكّد القرآن على هذين المبدأين مراراً، وعدّهما واجباً شرعياً، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران،١٠٤] ، بل وصف الذين يقومون بالأمر بالمعروف وينهون عن المنكر بأنهم خير أمّة؛ فقال عزّ من قائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران،١١٠].

نعم، لقد كان الإمام الحسين(ع) في صدد إجراء هذا الواجب القرآني، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا ما نجده من سيرة الإمام الحسين(ع) في تعامله مع طاغية زمانه، الذي ارتكب أبشع أنواع المنكرات والمحرمات، وترك الواجبات، ففي حقيقة الأمر أنّ الإمام الحسين(ع) عرض برنامجاً سياسياً وعملياً متكاملاً؛ لمبارزة الطاغوت ضمن إطار النهي عن المنكر، وكما بيّنا في مراحل النهي عن المنكر؛ فإنّ الإمام الحسين(ع) ابتدأ بنصح أصحاب السلطة، ثمّ بيّن انحرافاتهم وظلمهم، وشناعة أعمالهم، ثمّ كانت المواجهة والمبارزة المسلّحة، كلّ ذلك ضمن إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: الحفاظ على سنّة النبي (ص)

إنّ الإمام الحسين(ع) في وصيته ـ ومجمل أقواله ـ كان يدعو الناس إلى سنّة النبي(ص) والحفاظ عليها، والعمل بها وإحياء ما غيّب منها، وتفنيد ما حرّف فيها، فقد عدّ ذلك أحد أهمّ أهداف نهضة كربلاء المباركة: « وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب».

وقوله(ع): «أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه؛ فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحيت» [تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٦٦. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٨ ص١٧٠].

إنّ سنّة النبي(ص) تعدُّ ـ إلى جانب القرآن الكريم ـ وسيلةً مهمة لإرشاد المسلمين؛ فكما أنّ كلّيات الدين تؤخذ من القرآن، فإنّ جزئيات الإسلام تؤخذ من السنّة؛ إذ إنّ أقوال وأفعال النبي(ص) تعدّ التفسير الحقيقي للقرآن الكريم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل،٤٤].

ويجب على جميع المسلمين أن يتبعوا سنّة النبي(ص)، ويدعوا غيرهم إليها، ويدافعوا عنها ويحافظوا عليها من الاندراس والتحريف والتزييف؛ لأنّ الدفاع عن السنّة دفاع عن الدين، وترك العمل بها ترك للدين، فليس للمسلمين الحقّ في مخالفة أوامر النبي(ص) أو ارتكاب نواهيه، والآيات القرآنية بهذا الصدد كثيرة:

منها: قوله الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأنفال،٢٠].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [سورة التغابن،١٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾ [سورة الأحزاب،٣٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [سورة الحشر،٧].

نعم، إنّ الإمام الحسين(ع) في نهضة عاشوراء كان في صدد إحياء سنّة النبي(ص)، والدفاع عنها، ونقلها إلى حيز التطبيق في حياة المسلمين؛ لأنّ تعاليم النبي(ص) كانت قد أُهملت آنذاك، كما أنّ البدعة قد أُحييت وظهرت.

سابعاً: الهجرة

عزم حاكم المدينة على تنفيذ أوامر يزيد القاضية بقتل الإمام الحسين(ع)؛ فخرج(ع) من المدينة ليلاً، ولمّا خطّطوا لقتله(ع) في مكة أيضاً خرج منها أيضاً وتوجّه إلى العراق، وقال ـ في جوابه لرجل سأله: ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك رسول الله(ع)؟ـ : «إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت» [مثير الأحزان، الحلي: ص٣٣].

فيستفاد من كلامه(ع) أنّ المؤمن عندما تتعرض روحه للخطر لا يجوز له الصبر على ظلم الظالم، وهذا التحرك من الإمام الحسين(ع) كان على أساس الآيات القرآنية التي توجب الهجرة على من يواجه الصعاب في بلاده، على نحو لا يستطيع معه إقامة واجباته الدينية، أو تصبح نفسه ومن يرتبط به في خطر، كما حدث للنبي(ص) في مكة، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [سورة النساء،٩٧].

وبيّن القرآن الكريم أنّ من قتل في طريق هجرته فإن أجره على الله سبحانه، وأنّ المهاجرين في سبيل الله لهم أجر عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة الحج،٥٨].

وقال عز من قال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [سورة النساء،١٠٠].

وقال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة التوبة،٢٠].

ثامناً: مواجهة الظلم

تكرر من الإمام الحسين(ع)، ذكر حديث عن النبي(ص) في رسالته إلى رؤساء أهل الكوفة، وفي خطابه لأصحابه، وفي خطابه لجيش الحر، فكان(ع) يستدل بذلك الحديث النبوي كثيراً، ويطبقه علي بني أُمية، وهذا الحديث هو: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله(ع)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل، ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» [مقتل أبي مخنف، ص٨٥. تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٠٤. الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٨].

إنّ هذا التوجيه النبوي ـ والذي نظّم الإمام الحسين(ع) ثورته في كربلاء على أساسه ـ مأخوذ من القرآن الكريم، فالقرآن يقبّح الظلم، ويستنكره في آيات كثيرة، ويعدُّ الظلم سبباً في عذاب بعض الأمم، بل أوجبت الآيات العقاب على من مال إلى الظُّلام وركن إليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [سورة هود،١١٣].

ثمّ يجيز الله تعالى الجهاد لكلّ مظلوم، فيقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج،٣٩].

نعم، إنّ دين الله تعالى ـ وكذا الإمام الحسين(ع)، بل وجميع الأُمّة الإسلامية ـ كانوا تحت ظلم يزيد وبني أُميّة. وقد صوّر الإمام الحسين هذا الظلم والقائمين به بقوله: «يزيد رجل فاسق، معلن بالفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول» [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع)، ص٣٤٠]، «قاتل النفس المحترمة... ومثلي لا يبايع مثله» [المصدر السابق، ص٢٧٨]، وقال أيضاً: «يا فرزدق، إنّ هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين» [المصدر السابق، ص٤٠٨. نقلاً عن تذكرة الخواص]، «وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، واستأثروا بالفيء» [المصدر السابق، ص٤٣٨].

وفي مثل هذه الشرائط والظروف، فإنّ وظيفة كلّ مسلم ـ وطبقاً لما جاء في القرآن الكريم ـ أن يهبّ لمبارزة الفساد والظلم، وهكذا فعل إمامنا الحسين(ع).

تاسعاً: الحرية والتحرير

كلمة الحرية أحبُّ الكلمات التي ذُكرت في تاريخ البشر، لكن هذه الكلمة لها معان متفاوتة، من جملتها الاستقلال (الحرية الفلسفية)، الاختيار، الحرية على صعيد التربية، الحرية في الحقوق (على صعيد فلسفة الحقوق)، الحرية في مقابل العبودية (في الحقوق المدنية والعالمية) كما تأتي بمعنى الشرف و الكرامة.

وإنّ بحث الحرية في نهضة عاشوراء هو بمعنى الشرف والكرامة، كما وتكون بمعنى إباء الذل، والحفاظ على عزّة النفس، وتكون بمعنى الشهامة أيضاً [للاستزادة راجع مقالة قرآن و آزادي (القرآن والحرية)، للمؤلف، مجلة قرآن وعلم، العدد الرابع، خريف١٣٨٨هـ ش].

وهناك نماذج عديدة تثبت هذا المعنى من خلال كلمات الإمام الحسين(ع)، وتأكيده على القيم النبيلة للنهضة الحسينية:

منها: ما نُقل عن الإمام الحسين(ع)، أنّه قال لأعدائه: «إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون) [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع)، ص٦٠٧].

يعني أنّ التدين والخوف من الآخرة يوجبان التقوى، فلا يجيزان للإنسان أن يظلم الآخرين، ولكن هناك طريق آخر فطري يمنع من الظلم، ألا وهو كون الإنسان حرّاً؛ إذ كلّ إنسان ولد حرّاً، فهو يحب الحرية والتحرر، واحترام حقوق الناس.

ومنها: إعفاء أتباعه من الوفاء ببيعتهم، وهو إعطاء أصحابه وأنصاره مطلق الحرية في الاختيار بين الاشتراك في الحرب والانصراف إلى بلدانهم، وهذا يدلّ على أنّ إجبار الآخرين على خلاف مرادهم أمر مرفوض في مدرسة أحرار العالم. وهكذا كان في عاشوراء، لمّا أعفى الحسين(ع) أصحابه من بيعتهم وفي عدّة مرات، وذلك في طريقه من مكة إلى الكوفة، فقد أعطاهم مطلق الحرية في أن يذهبوا أو يبقوا معه، حتى أنّه أخبر أصحابه بالمصير المحتوم، فقال: «فإنّكم إن أصبحتم معي قتلتم كلّكم» [موسوعة الإمام الحسين(ع) ، ص٤٨٠. بحارالأنوار، ج٤٥، ص٨٩].

نعم، إنّ الإمام الحسين(ع) يريد ألا يبقى معه إلا من رافقه عن بصيرةٍ ورضًى، وإحساس بالوظيفة، وعشق له(ع).

ومنها: روح نهضة الإمام الحسين(ع) نفسها؛ فقد كانت لتحرير الناس من ظلم بني أُميّة واستبدادهم، وتخليصهم من أنواع الانحرافات الفكرية والأخلاقية.

وتعدُّ طريقة الإمام الحسين(ع) هذه في الوصول إلى الحرية ـ وتخليص الناس وتحريرهم ـ نوعاً من اتّباع القرآن الكريم وسنّة النبي الأمين(ص)؛ لأنّ تحرير الناس أحد أهداف رسالة النبي(ص) التي ذكرها القرآن، فجعل رسالة النبي(ص) ترفع القيود والأغلال عن أيدي الناس وأرجلهم، وتخلّصهم من العقائد الباطلة، والأعمال الخرافية والظلم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف،١٥٧].

كما أنّ القرآن عَدَّ رسالة النبي موسى(ع) ـ عند مقابلته فرعون ـ تحريراً للبشر من العبودية والذل، ونجاةً لهم [انظر: طه،٤٧، ٨٠. الشعراء،١٧، ٢٢].

عاشراً: العزّة ورفض الذل

أحد أهمّ تعاليم ثورة الإمام الحسين(ع) السياسية هي عدم الرضوخ للذل، وهذا من الشعارات والرسائل العاشورائية التي كانت مثالاً يحتذى به، وقدوةً لكلّ الشيعة، بل وكلّ الأحرار على مرّ التاريخ. فإنّ السائرين على خطى الحسين(ع) يرجّحون الموت في عزٍ على الحياة في ذلّ: «موت في عزّ خير من حياة في ذلّ» [مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، ج٣، ص٢٢٤].

وهكذا هم الحسينيون، يرون سعادتهم في الشهادة، والعيش مع الظالم خسارة وذلة: «وإنّي لا أري الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» [المصدر السابق].

وقد أصبحت كلمة الإمام الحسين الخالدة: «هيهات منّا الذلة» [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع): ص١٦]، عنواناً لكلّ أحرار العالم، يرددونها ويتغنون بها باستمرار واعتزاز وافتخار.

ففي مدرسة الإمام الحسين(ع) ليس معيار السعادة المال والحياة والترف، بل كلّ أنواع النعيم المادي ليس بشيء؛ وإنّما المعيار هو العزّة والكرامة، والحياة الشريفة، وهذه رؤية وهبها الدين الخاتم للبشرية، وطبّقها الإمام الحسين(ع) بدروس عملية، علّمنا من خلالها كيف يجب أن يكون الإنسان عزيزاً أبيّاً حرّاً، يأبى الذل والهوان، والسكوت على الظلم والانحراف، فقد غيّر(ع) نظرة الأحرار إلى الحياة والموت. فإنّ الموت كيفما كان فهو أمر محتوم لا مفرّ عنه، والمهم كيف تكون نظرة الإنسان إلى الموت، فالحسين(ع) بيّن تعريفاً جديداً للموت والحياة، وغيّر نظرة البشر إلى الموت، وأوضح للناس أنّ الموت الحقيقي إنّما هو في العيش مع الظالم، وأنّ الحياة مخبوءة في الشهادة؛ فلمّا رأى الإمام الحسين(ع) أنّ نصائحه لم تعد تنفع في حكومة بني أُميّة، وأنّ يزيد رجل فاسق وحكومته حكومة فاسدة لا تجوز مبايعته ورأى أيضاً أنّ الظلم الذي تمارسه السلطة لا يمكن السكوت عليه؛ عند ذلك وقف الحسين(ع)في وجه عدوّه وقفة الأبطال، وقاتل حتى آخر نفس، وقال كلمته الخالدة: «لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد» [الإرشاد، المفيد، ج٢، ص٩٨].

وهذا السلوك من الإمام الحسين(ع) في سبيل العزّة والاستنكاف عن الذل يمثل مراد القرآن، وينسجم مع مبانيه السامية؛ إذ يجعل العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، ما يلزم عنه أنّ الذل والهوان بعيدان عن المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون،٨].

الحادي عشر: اختيار إحدى الحسنيين

ما من شك في أنّ الإمام الحسين(ع) لو بقي في المدينة ـ أو مكة ـ لكانت عاقبته القتل؛ فإنّ السلطة الحاكمة كانت قاصدة إلى إذلاله من خلال إجباره على البيعة، وبما أنّهم كانوا متيقنين وعالمين بأنّ الإمام(ع) لا يبايع يزيد؛ لذلك كان الحل الراجح

عندهم هو قتله(ع)، وأمّا لو خرج متوجهاً إلى العراق فالأمر يختلف؛ وذلك لأنّ احتمال الوصول إلى الكوفة، واحتمال النصر كان قائماً؛ من هنا فإنّ الإمام(ع) في خروجه سوف يحصل على إحدى الحسنيين.

ولذا قال(ع): «إنّ بيني وبين القوم موعداً، أكره أن أُخلفهم، فإن يدفع الله عنّا، فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بدّ منه، ففوز وشهادة إن شاء الله» [مثير الأحزان، الحلي، ص٢٨].

وحاصل هذا الكلام هو: أنّ الناس إذا دافعوا عن الإمام ونصروه وآزروه، فإنّ الكفة ستكون بصالح الإمام الحسين(ع)؛ وستسقط حكومة يزيد، ويتم الأمر لنفع الإسلام، فتكون حسنى النصر، وتلك نعمة إلهية، وأمّا إذا لم يدافع الناس عن الإمام الحسين(ع)، فسيستشهد(ع)، وتلك حسنى الشهادة، ويتبع ذلك فضح حكومة يزيد، وسيحيى الإسلام بدم الحسين(ع).

والنتيجة: فإنّ خروج الإمام من مكة إلى الكوفة كان الخيار الأفضل من بين الخيارات الأخرى، بل هو المتعين من بينها؛ لأنّ البقاء إمّا أن يكون مع البيعة، وإمّا مع الموت الصامت الذي لا يؤتي ثماره وهذا يعني أنّ شهادة الإمام الحسين(ع) ظلماً في صحراء كربلاء ـ وأمام جيش عظيم ـ أوجبت اندلاع حملة إعلامية عظيمة لصالح الإسلام، تفضح ظلم بني أُميّة، وتضمن حياة الإسلام على طول التأريخ.

هذه الطريقة المنطقية والعقلانية التي اتبعها الإمام الحسين(ع)، مطابقة للآيات القرآنية؛ إذ إنّه لمّا أساء بعض الناس السير في حربهم مع النبي(ص)، وقالوا ما لا يليق ولا ينبغي، أجابهم القرآن: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ* قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [سورة التوبة،٥١ـ٥٢]. ومعنى ذلك: أنه على أية حال ـ وعلى كلّ تقدير ـ فإنّ طريق الحقّ عاقبته خير، سواءً أكانت الخاتمة هي الشهادة أم كانت النصر.

وبخلاف تلك العاقبة عاقبة المخالفين؛ فإنّها مهما كانت، فهي لا بدّ وأن تفضي وتنتهي إلى الهلاك والخسران، فهي إمّا الهزيمة والذلة في الحياة الدنيا، وإمّا القتل والمصير إلى النار، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة،٥٢]، إذاً فالعقل والمنطق يحكمان أن نكمل طريقنا، وهذا ما فعله الإمام الحسين(ع).

الثاني عشر: وجوب قبول الإمام لطلب الناس إتماماً للحجة عليهم

تعدّدت الرسائل من أهل الكوفة، وتتابعت رسلهم إلى الإمام الحسين(ع): أن لا أمير علينا، وأنّنا نريد أن نبايعك؛ ولأجل ذلك؛ أرسل الإمام الحسين(ع) مسلم بن عقيل ممثلاً شخصياً عنه؛ ليمتحنهم وينبأه عن أوضاعهم، ولمّا بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل، تمت الحجة، وكان لا بدّ من الخروج إليهم، والتوجه إلى العراق.

ومن هنا قال(ع): «هذه كُتُب أهل الكوفة ورسلهم، وقد وجب عليَّ إجابتهم، وقام لهم العذر عليَّ عند الله سبحانه» [معالي السبطين، المازندراني، ج١، ص٢٤٦. ناسخ التواريخ، محمد تقي، ج٢، ١٢٢، أسرار الشهادة، الدربندي، ٢٤٧. نقلاً عن الموسوعة ص٣٨٩].

ولذلك؛ نجد أنّ الإمام عندما عدّد أسباب مجيئه إلى الكوفة عدَّ منها تلك الرسائل والدعوات التي أوجبت حضوره، فقد بيّن أوّلاً خصوصيات الحاكم الذي يستحق الحكومة، وأنّ يزيد لا يصلح لذلك، فقال:«ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله» [تاريخ الأُمم والملوك، الطبري، ج٧، ص٢٣٥. وانظر: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٦٧. الإرشاد، المفيد، ج٢، ص٣٩. مقتل الخوارزمي، ج٦، ص١٩٥].

ثمّ بيَّن أن أحد أهمّ الأسباب التي دعت إلى قدومه واختياره الكوفة هو الطلب الجماهيري من أهلها، فقال(ع): «ومقالة جلّكم إنّه ليس علينا إمام فأقبل» [موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع): ص٣٧٩]؛ ولأجل ذلك قَبل دعوتهم ليتمَّ الحجة عليهم بقدومه، كما تمّت الحجة عليه بدعوتهم، ويعتبر هذا من المبادئ القرآنية التي كرر التأكيد عليها في آيات عديدة [انظر: البقرة،١٥٠. الأنعام،٤٣، ١٤٩. الشورى،١٥]. حتى إنّ القرآن الكريم جعل سبب إرسال الرسل الإلهية، إتمام الحجة على الناس، قال الله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء، ١٦٥].

وبذلك يتبيّن أنّ مبادئ وقيم ومفاصل حركة ونهضة عاشوراء جميعها كانت من صلب الدين ومنصوصاً عليها في القرآن الكريم، وفي آيات متعددة، فنهضة عاشوراء هي أعظم تطبيق حي لمفاهيم وتعاليم ومبادئ القرآن الكريم، فإذا ما كانت تعاليم القرآن ومبادئه تعاليم إنسانية، نابعة عن الفطرة البشرية، عرف بذلك أنّ ثورة الإمام الحسين(ع) هي ثورة لكلّ البشر، ولكلّ من يريد العيش بكرامة وعدالة وعزّة.

في تفسير سورة النصر

العلامة الشيخ حبيب الكاظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾

١ ـ جرت العادة على أن يتقدّم المشتاق نحو مَن يشتاق إليه، ولكن عند غاية الإكرام تُقدم الغاية إلى الطالب لها، كما تزفّ العروس إلى زوجها رغم شوقه الشديد إليها، ومثاله في القرآن الكريم هي الجنة الموعودة لأهلها فإنها تتقدّم إليهم لقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الشعراء، ٩٠]، ومثاله الآخر ما في هذه السورة: فإنّ المجاهدين يسعَونَ عادةً إلى ساحة النصر والفتح، ولكن النصر هنا جاء لساحة النبي الأكرم (ص) فقال تعالى: ﴿إذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾.

٢ ـ إنّ النصر ـ وإن كان منتسباً إلى الله تعالى كانتساب كل خير إليه ـ إلا أنّ منشأه بيد العبد، وقد أشير إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [سورة محمد، ٧]، ومن المعلوم أنّ نصرته ـ بقول مطلق ـ يلزم منه:

أولاً: النصرة في كلّ الميادين، أعني الأصغر والأكبر.

ثانياً: قصر النظر على المنصور ـ وهو الله تعالى ـ من دون شائبة في البين، وإلا لما عادت نصرة له.

٣ ـ إنّ تخصيص فتح مكة بالذكر بعد ذكر النصر العام، يدلّ على أنّ استئصال بؤرة الفساد ومراكز الإفساد، ضروري في إنجاح مسيرة الدعوة إلى الله تعالى، فإنّ المناوشات لم تنقطع بين النبي (ص) وأعدائه في بدر وأُحد والأحزاب إلا بفتح مكة، إذ لم تبق لهم باقية بعدها!؛ ومن هنا فإنّ وظيفة المؤمنين طوال التاريخ، اجتثاث جذور الفتنة في كلّ عصر بما أوتوا من قوّة؛ لئلا تتعثّر مسيرتهم نحو الفتح المظفّر.

٤ ـ تعدّد ذكر النعم الإلهية في السور الأخيرة من هذا الجزء:

– فتارةً يذكر المولى نعمته على نبيّه بشرح الصدر في سورة الانشراح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح، ١].

– وتارةً يعده بالعطاء الذي يرضى معه، متمثّلاً بالشفاعة كصورةٍ من صور العطاء في سورة الضحى.

– وتارةً بإعطاء الخير الكثير في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر، ١].

– وتارةً بإنزال القرآن الكريم على نبيّه الأكرم (ص) في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة القدر، ١].

– وفي هذه السورة يذكر نصره لحبيبه المصطفى (ص) وما تبعه من الفتح العظيم.

٥ ـ إنّ هناك فرقاً بين (النصر) و(الفتح) وذلك أنّ الله تعالى قد ينصر عبده من خلال تأييده في مواجهة الأعداء: فيبطل كيدهم ويدفع مكرهم من دون أن يحسم المعركة معهم ويزيل وجودهم؛ ففي معركة بدر كان هناك نصر للمؤمنين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ [سورة آل عمران، ١٢٣] ولكن لم يكن ما حدث فتحاً، ومن هنا لحقتهم هزيمة أُحد، ولكن الله تعالى جمع لنبيّه النصر والفتح بدخول مكة حيث سمي (فتح الفتوح)؛ لأنّ بهذا الفتح حسمت المعركة مع الكفر وأهله.

٦ ـ وهذا الفرق في عالم الآفاق يأتي في عالم الأنفس أيضاً: فقد ينصر عبده في جهاده الأكبر في بعض مراحل حياته من دون أن يستقرّ له فتح، والمتمثّل في الاستقرار في عالم النفس المطمئنّة والدخول في مملكة: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر، ٢٩-٣٠].

٧ ـ إنّ الآية عبّرت عن الداخلين في دين الله تعالى بـ ﴿النَّاس﴾ ومن الممكن أن يقال: بأنّ غير الداخلين في الدين الخاتم، كأنّهم ليسوا من الناس!.. فإنّ القرآن الكريم عبّر عن المنحرفين عن الطاعة بأنّهم: ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [سورة الفرقان، ٤٤]، ويؤيّده ما روي عن الحسن بن علي (ع) عن الناس، فقال (ع): «نحن الناس، وأشياعنا أشباه الناس، وأعداؤنا النسناس» [تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ج٣٢، ص١٥٦].

٨ ـ إنّ هناك فرقاً بين دخول الناس في الدين أحادى وفرادى، وبين دخولهم في الدين جماعة وأفواجاً؛ فهذا أقرب إلى مقصد الشريعة وأرضى للربّ، ومن هنا خصّت هذه الحالة بالذكر؛ وعليه فإنّ من قام بما يوجب دخول الناس في الدين كذلك، كان أقرب إلى النصرة الإلهية والفتح الإلهي. وبقرينة المقابلة: فإنّ من يوجب خروج الناس من الدين؛ فإنّ عليه من الوزر ما لا يخفى، وهو ما سيتحقّق في مرحلة من مراحل حياة الأمّة، حيث روي عن النبي (ص) أنه قال: «دخل الناس في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً» [تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي، ج٣، ص٨٦٧].

٩ ـ إنّ مقتضى الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، هو إقبالهم على دين الله تعالى والتي هي منسجمة تمام الانسجام مع هذه الفطرة؛ ومن هنا سمّيت الشريعة بالحنيفية؛ أي: المائلة عن جادّة الباطل، ولكن هيمنة قوى الأعداء تحول دون ذلك، كما فعل الفراعنة وأمثالهم طوال التاريخ، فقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [سورة الزخرف، ٥٤]

ولكن عند زوال دولة الباطل فإنّ

هذا المانع
يرتفع ليعمل المقتضي أثره، ومن هنا كان
فتح مكة نصراً عظيماً، لارتفاع أهمّ مانع من موانع نجاح
الدعوة في ذلك العصر.

١٠ ـ إنّ النصر والفتح إنّما يكتسبانِ القيمة والشرافة إذا كانا في سبيل دخول الناس أفواجاً في دين الله تعالى، بل قد يُقال عموماً: بأنّ أيّة مزيّة من مزايا الدنيا ينبغي أن ينظر إليها في سياق ارتباطها بمزايا عالم الغيب، فما كان سبباً للقرب من الله تعالى صار محموداً، وإلا كانت وبالاً على صاحبها؛ وعليه لو حكّم أهل الدنيا هذا المقياس في حياتهم لما فرحوا بكثير من إقبال الدنيا عليهم، نصراً كان على الأعداء، أو زبداً من عاجل المتاع.

١١ ـ إنّ الله تعالى ذكر اسمه الدالّ على ذاته عند ذكر النصر ﴿نَصْرُ الله﴾ وكذلك الدين (دين الله)؛ لأنّ المقام مقام بيان العظمة وهو المناسب لذكَر أشرف أسمائه، وَلكن عندما يصل الأَمر لذكَر حبيبه المصطفى (ص) فإنّه ينسبه إليه بما دلّ على ربوبيّته ﴿ربِّكَ﴾ ولا يخفى ما في هذا التعبير من اللّطف والدلال وذلك:

- بأصل إضافة نبيّه (ص) إليه إضافة تشريفية.
- والتعبير بالرب للإشارة إلى جهة الربوبية الباعثة للنصر، بعد ذكر تلك الإضافة التشريفية لنبيه الكريم.
- أضف إلى صيغة الخطاب الدالّ على الالتفات والمؤانسة.

١٢ ـ تتأكّد الحاجة إلى الذكر عند وجود ما يشغل الإنسان عن ذكر ربّه ومنها ساحة القتال؛ فإنّ طبيعة الكرّ والفرّ على الأعداء قد توجب الذهول عن الذكر الكثير، وَمن هنا جاء الأمر الإلهي بذلك قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال، ٤٥]. ومن موارد الغفلَة أيضاً الَانشَغال بَلوازم النصر من الغنائم الخارجيةَ والاستعلاء الباطني؛ لذا جاء الأمر أيضاً بالذكر المتمثّل بالتسبيح والاستغفار في هذه السورة بعد النصر والفتح.

١٣ ـ إنّه من الممكن تفسير التسبيح بالحمد بوجوه منها:

- الأمر بالجمع بينهما، كما تأمر بالجمع بين التهليل والتكبير من دون علاقة بينهما.
- إنّ التسبيح وهو التنزيه من النقص، يكون بالحمد والثناء إذ لا يستحقّ المحمود الثناء، إلا إذا كان خالياً من العيب في الذات والصفة.
- أن يكون الغرض الأولي هو التسبيح، ولكن مستعيناً بحمد الله وفضله، كما تسند كل أفعال الخير إلى نفسك حامداً لله تعالى فتقول: صلّيت بحمد الله تعالى.

١٤ ـ تكرّر ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من التهليل والتكبير والتحميد، ولعل السرّ في ذلك أنّ مخالفة الإنسان لربّه في كثير من أوامره ونواهيه، توجب له الوقوع في كثير من الكبوات والعثرات، ومن هنا ناسب أن ينزّه العبد ربّه من أن يسند إليه نقص ومنه (الظلم) وذلك عندما يرى في نفسه ما لا يسرّه من العقوبة الإلهية على فعله، بل ينسب التقصير إلى نفسه وهو ما ناجى به يونس (ع) قائلاً: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، ٨٧]، وهذا التَسبيَح هو الذي صاَر سبباً لنجاته كما كان سبباً لقبول اعتذار الملائكة كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة، ٣٢].

١٥ ـ إنّ من لَوازم التَنزيّه والتسبيح المطلق، هو أنّ الله تعالى منزّه من خذلان أوليائه في الحياة الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر، ٥١]. ومن الواضح أنّ مَقتضى مقَابلة الجَميل بالجميل، أن ينصر الله تعالى من ينصره، لقوله تعالى في آية فيها صور متعدّدة من التأكيد: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [سورة الحج، ٤٠] وقد دلّت حوادث التاريخ على هذه الحقيقة، أعني نصر أوليائه وخذلان أعدائه ولو بعد حين!

١٦ ـ إنّ استغفار النبي (ص) والأمر به كما في هذه السورة، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد، ١٩] قد يكون لوجوه منها:

- لَاقتداءَ الغيَرَ تأسياً بهَ (صَ)، وهذا المعنى يتّفق في تربية الآخرين، فقد يعنّف المعلم مجتهداً من تلاميذه لتنبيه غير المجتهد على تقصيره وأنّه هو الأولى بذلك العتاب.
- لترك الأولى وما هو الأفضل، وهذا الترك لا ينافي العصمة، ومع ذلك يوجب حالة من الاستحياء بين يدي الله تعالى عند شدّة المراقبة، بما يستدعي الاستغفار الحقيقي.
- أنّه قد يكون من لوازم طيّ المنازل في السير إلى الله تعالى، فإنّ المرتحل من منزل عال إلى منزل أعلى، يرى وكأنّه كان في نقص وتقصير باعتبار المنزل السابق، بما يستحقّ معه الاعتذار ممن يقصد إليه.

١٧ ـ إنّ الاستغفار سنخ من الدعاء يتوجّه به العبد إلى ربّه؛ وعليه فلا بُد من مراعاة كلّ آداب الطلب، ومنه تقديم المحمدة والثناء قبله وهو ما تحقّق في هذه السورة، فإنّ الله تعالى طلب من نبيّه (ص) التسبيح والتحميد ثمّ أمره بالاستغفار؛ وهو أدب ينبغي مراعاته في جميع صِور الدعاء وحالاته.

١٨ ـ إنّ طبيعة النصر والفتح تقتضي حالة من الغرور والعجب المعروفين عند الفاتحين، ولكن السورة جاءت لتذكّر بالاستغفار بعد الذكر، على خلاف ما هو المتوقّع من طبيعة الموقف. ولعلّ السرّ في ذلك هو دفع مثل هذا الغرور أوّلاً، ودفع توهّم الانتساب الحقيقي للنصر إليهم ثانياً، فإنّ الله تعالى ينسب ذلك إلى نفسه مباشرة قائلاً: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران، ١٢٦].

١٩ ـ إنّ الله تعالى لم يقيّد الاستغفار في هذه السورة بكثير قيد كما في باقي آيات التوبة من: الجهالة، وقرب وقوعها، وعدم الإصرار على الذنب قبلها، فإنّ الاستغفار هنا جاء في سياق نصر الله تعالى المترتّب على نصرة العبيد له، فلم يحتج إلى كثير قيد، بل إنّ الآية ذكرت التوبة مترتبة على الاستغفار مباشرة بصيغ من التأكيد: فمنه التعبير بـ ﴿إِنَّهُ﴾ المؤكّدة، والمبالغة في وصف التوبة ﴿تَوَّاباً﴾ والتعبير بثبوت هذه التوبة ﴿كَانَ﴾.

٢٠ ـ لا يخفى ما في التعبير بـ(التوّاب) بدلاً من (الغفّار) من لطف في سياق ذكر النصر؛ فإنّ فيه معنى رجوع الربّ إلى العبد بالتفاتة لطف ورحمة، ممّا يُلهم العبد نيّة الرجوع إليه لقوله تعالى: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [سورة التوبة، ١١٨] وهذا معنى يغاير مجرّد المغفرَة، فَإنّ الله تعالى قد يعفو عن عبده؛ بمعنى محو السيّئة عنه من دون أن يقبل عليه.

إضاءات من عاشوراء

بقلم: الشيخ عبدالجليل المكراني

الأولى:

• إنّ في البكاء على الإمام الحسين(ع) سراً عظيماً من أسرار عظمة الإسلام والقرآن وأهل البيت (ع)، فمن أدرك هذا السرّ العظيم فقد أدرك حقيقة الإسلام، بل حقيقة الإيمان والتوحيد.

• إنّ البكاء هو دليل الاعتراف بحق الشخص المبكى وبما أسدى من خدمات جليلة لمصلحة الأمّة والشريعة.

• عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «كان أبي علي بن الحسين (ع) يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (ع) ومن معه حتى تسيل على خديه بوّأه الله في الجنة غرفاً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى يسيل على خديه لأذىً مسّنا من عدونا بوّأه الله مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذىً فينا فدمعت عيناه حتى يسيل على خديه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عنه الأذى، وأمنه يوم القيامة من سخطه ومن النار».

الثانية:

• إنّ من أهم أهداف نهضة الإمام الحسين(ع) إحياء أصول العقيدة في النفوس؛ لأنّه رأى أنّ الأمّة قد أصيبت بموت الضمير وفقدان الإرادة حتى وصلت الحالة - في كثير ممّن يسمّون أنفسهم بالمؤمنين - لعدم التطابق عندهم بين الأفكار والمعتقدات وبين سلوكها الخارجي، الأمر الذي أدى إلى تمييع المفاهيم الإسلامية الحقّة.

• نعم لقد تجسّدت هذه الحقيقة واتّضحت في زمان الحسين(ع) في مأساة عاشوراء، وكشفت عنها تلك الطريقة الوحشية التي استخدمها الجيش الأموي مع الحسين وأصحابه وأهل بيته لاسيما الأطفال والنساء منهم؛ ولأجل هذا أطلق الحسين صرخته المدوية معلناً بها الثورة المقدسة المصلحة للنفوس قائلاً: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً».

• تحرّك الحسين بنهضته لإيقاظ ضمير الأمّة حينما رفض بيعة يزيد، ولعل أروع نصّ يعبّر عن رؤية الإمام الحسين الإصلاحية هو خطبته عندما أراد الخروج من مكة، حيث قال(ع): «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيص عن يوم خُط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن تشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله».

الثالثة:

• إنّ شخصية الثائر الشهيد مسلم بن عقيل(ع) تمثّل تشخيصاً وتجسيداً في الخارج لما كان الإمام الحسين(ع) يصبو إليه من هذه الثورة والنهضة المقدسة، فالإمام الشهيد لم يكن بهدف تغيير سلطة زمنية مؤقتة فقط، ولم يكن يهدف إلى تحرير السلطة السياسية التي اغتصبها الطلقاء وأبناؤهم وإرجاعها إلى أهلها الحقيقيين والشرعيين، بل كان الأمر أعمق وأبعد من هذا؛ فإنّ الإمام(ع) كان يؤسس من جديد لدولة العدل والإسلام، دولة تسودها الأحكام الإلهية التي أنزلها الله تعالى على نبيه الكريم، والتي قد عمد إلى إزالتها الأمويون بكل ما يمتلكون من قوة وبطش وبمختلف الأساليب، وقد أعطت هذه الثورة الحسينية أهدافها الآنية وتحققت بمجرد إراقة ذلك الدم الطاهر على أرض كربلاء.

• مسلم بن عقيل ـ عليه السلام ـ سفير الحسين وثقته.

• جاء في كتاب الإمام الحسين(ع) لأهل الكوفة: «...قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمّي وَثِقَتي مِنْ أَهْلِ بَيْتي مُسْلِمْ بْنِ عَقيلِ بْنِ أبي طالب(ع)، وَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ ورأيكمْ ورأيِ ذوِي الْحَجى والْفَضْلِ مِنْكُمْ ، وهو متوجّهٌ إلى ما قبلكمْ إنْ شاءَ الله تعالى والسَّلام..».

• مسلم بن عقيل -عليه السلام- لا يغدر ولا يفتك، قال رسول الله(ص): «الإيمان قيد الفتك».

الرابعة:

• تجلّت في أرض كربلاء معاني القرآن الذي سفك الإمام الحسين(ع) دمه وبذل مهجته من أجله؛ إذ في الوقت الذي يأمر فيه القرآن الكريم ويحث على إعمال ملكة التفكير والمنطق والصدح بالحقّ والدعوة عن بصيرة في كثير من الآيات التي أعلنت بأنّ الكثرة العددية بالأشخاص لا تصمد في مواجهة الحقّ، وإنّما ينبغي التفكير بعقلانية في تحكيم الأمور والمسائل، كما في قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/٣٧) وقوله تعالى: ﴿وأَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ﴾ (الشعراء/٢٢٣).

• وإنّما الدعوة يجب أن تكون كما في قوله تعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَني﴾ (يوسف/١٠٨).

• نرى مصداقاً لذلك في اليوم العاشر من المحرّم حينما بعث الإمام الحسين(ع) بأصحابه وإخوته للقوم من أجل دعوتهم للحق.

الخامسة:

• عن الإمام الصادق (ع): (كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً).

• هنالك ارتباط قوي ومهم بين هاتين الصفتين وتحقيق الإنجازات والعظمة التي تسنّمها العباس، فإنّ معنى نافذ البصيرة هو ذلك الذي يتحمّل الحقائق والمعارف المرتبطة بمقام أهل البيت(ع)، وهذا أمر خاضع لتفاوت الاستعداد والقابلية عند الإنسان.

• وهذان الوصفان الفعليان اللذان اتصف بهما سيدنا العباس(ع) – وهما نافذية البصيرة وصلابة الإيمان – لهما بحق ما يمثل الشخصية الموقنة في أمر ربّها.

• وهما روحا الاستقامة والتقوى واليقين في ذات العباس(ع)، فلو لم يكن العباس(ع) بهذه الدرجة من الرفعة التقوائية قلباً وعقلاً وفكراً لما استحق ما وصفه به الإمام المعصوم.

• فالعباس(ع) بسلوكه وتعاطيه مع الإمام الحسين(ع) في يوم عاشوراء ضرب رقماً صعباً في رائعة التآخي الدموي والإيماني بين بني الإنسان.

• فهو(ع) وفق معطيات النصوص وشهادات المعصومين(ع) كان بحق إنساناً بلغ من الكمال بدرجة تصنّف بقيمتها بعد المعصوم(ع).

• لذا قال الإمام الصادق(ع) مؤكداً على هذا الأمر في زيارة العباس(ع): «أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، مُقْتَدِياً بِالصَّالِحِينَ ومتّبعاً لِلنَّبِيِّينَ، فجمع الله بَيْنَنا وبينكَ وبَيْنَ رسوله وأَوْلِيائه فِي مَنازِلِ المُخْبِتِّينَ فإِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين».

السَادسَة:

• كربلاء لم تكن فقط نهضة عالمية وثورة كبيرة فجّرها زعيم الأحرار وسيّدهم الإمام الحسين بن علي(ع) بوجه الظلم والطغيان؛ بل كانت من أهمّ الوقائع الكبرى التي يهتز لها الوجدان الإنساني.

• كربلاء تضحية من أجل إرساء النظام الإنساني العادل، طبعت بصماتها في سجل التاريخ.

• كربلاء ملحمة أسطورية خالدة سطّرت معان كثيرة ورسمت آثاراً بقيت شامخة باعثة على التمسّك برسالة الإسلام الذي يحمل الفكر المحمدي الأصيلّ.

• كربلاء ثورة رسّخت العدل والحقّ في الألباب والقلوب، ودافعت عن القيم النبيلة ووقفت بكلّ بسالة ضدّ الظلم والاستبداد، لذلك أصبحت مدرسة إنسانية إلهية ذات شعائر رسالية ومعالم دينية خرّجت أجيالاً رساليين يحملون مفاهيم سامية ومعارف راقية كالتضحية والحقّ والحريّة.

السابعة:

• لعلّ من أهمّ ما تميّزت به هذه الثورة المقدسة أنّها احتوت كل العناصر والمشاهد الإنسانية المؤثرة، فالطفل يمثّل رمز البراءة والفطرة والطهارة الإنسانية في أجمل صورها وأروع مشاهدها، وهذا ما يرسمه مقتل الطفل الرضيع في يدي أبيه الحسين(ع)، الذي سالت دماؤه الطاهرة مساهمة في فداء القيم الإلهية المقدسة.

• إنّ هذه المشاهد والصور رغم بعد زمان وقوعها، إلا أنّها حيّة في نفوس الأحرار تجذب الحسّ الإنساني، ليتعاطف معها ولأجلها؛ ولذلك بقيت على امتداد التاريخ الإسلامي والإنساني شامخة تذهل الألباب.

• ونحن إذ نعيش الآن في عصر الانفتاح الثقافي والعلمي والتطوّر المعلوماتي والتقني الكبير، وهو من أعظم الوسائل الثقافية الحديثة، فحري بنا أن نجعله وسيلة ننطلق من خلالها لإيصال ثقافة عاشوراء إلى عموم عناصر المجتمع.

بقلم: الشيخ جواد أمين

الحركيّة في نهـــضة إحدى وستّين

لقد ذكر أهل العلم أنّ ديمومة أيّ نهضة أو ثورة يكمن في مدى حركيّة هذه النهضة، وبعبارة أدق نقول: إنّ العامل الحركيّ هو الحامي والضامن لاستمرار النهضة للوصول إلى أهدافها التي انطلقت من أجلها.

ونهضة إحدى وستّين هي من شكّلت المعيار التي تقاس عليه كل النهضات بل وكل الثورات؛ لأنّ العامل الحركي فيها لا يوجد له مثيل حيث قامت نهضة سيّد الأحرار (ع) تحت عنوانٍ حركيّ إلهي، حيث قال (ع): «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي(ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب (ع)» [بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩-٣٣٠].

فهنا مجموعة من العناوين الحركيّة، لكن لو نظرنا إلى عنوان محدَّد؛ منها قوله (ع): «أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر» لوجدنا أنّه عنوان إلهي ذكر في القرآن الكريم على مستوى الأفراد والأمم لما له من أهمّية في الدخول في ولاية الله تبارك وتعالى والخروج من ولاية الشيطان.

ولو أمعنّا النظر قليلاً لرأينا أنّ هذا القول والذي قد اتّبعه الإمام (ع) بالفعل والحركة، هو مصداق قول جدّه رسول الله (ص) والذي يقول فيه: «من رأى منكم منكراً فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه إنه لذلك كاره» [تفسير الإمام العسكري (ع)، ص٤٠٨].

فالخروج لم يكن فقط لمجرّد الخروج بل لإيجاد حركة تزلزل الأمّة التي ركنت لبني أميّة وأصبحت تأتمر بطاغوت ذلك الزمن يزيد بن معاوية.

من هذه الكلمات الممزوجة بالعزّة الهاشمية، أنكر الإمام الحسين (ع) بيده وبقلبه وبروحه كل ألوان المنكر وتحرّك ليجعل لثورته ونهضته امتداداً زمنيّاً يحمي من خلاله الدين المحمّديّ الأصيل.

إنّ هذه الحركية العظيمة التي شيّدت بنيان الحضارة الإسلامية وبنت روح المقاومة في كل زمان ومكان هي وحدها التي ستلهم أيضاً القائم من آل محمد (عجل الله فرجه) روحاً وفكراً نيّراً تنتصر به أمّتنا؛ وبالتالي يتحقّق الوعد الإلهيّ بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء، ١٠٥].

جَعلنَا الله وإيّاكم من المتفهمين لأسس نهضة إحدى وستّين ومن الممهّدين لنهضة المصلح الأكبر الحجّة بن الحسن (روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء).

الطائفية...

مخاطر وحلول*

آية الله العظمى الشهيد السيّد محمد الصدر (قده)

لايخفى خطورة الخلاف الطائفي على الإسلام وعلى سائر مذاهبه، وبخاصّة تلك المذاهب التي وقع أصحابها طرفاً للنزاع، فإنّه لو قدّر له ـ لا سمح الله ـ أن يدوم وأن يستفحل سيترتّب عليه قائمة ضخمة من الآثار السيّئة السوداء التي تجرّ على الإسلام ومذاهبه بل على مصالح هؤلاء المتخاصمين أنفسهم الشرّ والدمار.

ويمكننا في المقام أن ننبّه على بعض أهم هذه المخاطر في النقاط التالية:

١- إنّ هذا الخلاف يضع أمام الدول المستعمرة وأمام المبادئ الكافرة والدعوات الإلحادية، وأمام الأطماع الدولية، نقطة ضعف واضحة، يسهّل على أيّ من هذه الجهات استغلالها بكل بساطة ويسر للنفوذ إلى بلادنا والتأثير على قلوبنا وعقولنا، بينما نحن مشغولون بالجدل العقيم لا ننظر إلى الدنيا إلا من خلال زاويته الضيّقة، لا نعلم ما الذي يدور حولنا من أحداث.

بالإضافة إلى أنّ نفس هذا الخصام، يكون مادّة دسمة لهذه الجهات الكافرة المستعمرة، لوضع الحلول والشعارات البرّاقة الخلابة، لجلب البسطاء من الفريقين إلى صفّها والتأثير عليهم في سبيل الدخول تحت لوائها، ويكون هذا الخلاف مستنقعاً جيّداً لصيد مثل هذه الضحايا.

ويكون النصر في نهاية المطاف ـ لا سمح الله ـ لهذه الجهات الكافرة، فهي التي تتولّى القيادة حينئذ، وهي التي تملأ مناصب الحكم والمرافق العامّة، وسوف لن يكون لأيٍّ من الفريقين أيّ تقدّم أو نجاح في هذا السبيل، وحتى لو تسنّم بعض أفرادهم كراسيّ الحكم فإنّما يكون ذلك لا لأجل كونه سنّياً أو شيعيّاً، ولا لأجل كونه مسلماً، وإنّما لأجل كونه متّبعاً لإحدى المذاهب اللا إسلامية المنحرفة المسيطرة على دفّة الحكم.

٢- إنّه يسدّ أمامنا طريق الهدف الإسلامي المشترك، ويغلق باب العمل الإسلامي المتّحد، والآمال الإسلامية المشتركة، ذلك الهدف وتلك الآمال، التي يطلب منّا الإسلام بكل صراحة وإخلاص أن نتبنّاها وأن نسير بخطاها.

فإنّه سوف يكون من الآثار القريبة المباشرة لهذا الخلاف، تبعثر الجهود وتشتّت القوى والأفكار، وصرفها واستنفارها في هذا المجال الضيّق وفي الجدل العقيم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، بدون أن تبقى لدينا بقيّة من وقت وجهد ومال وتفكير، تصلح لبذلها في سبيل الإسلام، أو أن تجعل واسطة في سبيل الهدف الإسلامي الأعلى.

السنة الرابعة | العدد ٤٧ و٤٨ | محرم وصفر ١٤٣٦

وليت هذا الخلاف كان خلافاً إسلامياً، يدور حول نقطة إسلامية معيّنة، يعطي كل فريق رأيه ويدلي بوجهة نظره، بموضوعية وإخلاص؛ إذن لكان له أثرٌ في الإسلام، ولأغنى الفكر الإسلامي، بحلول طيّبة وأفكار مجيدة تصدر من أيّ مذهب من مذاهب الإسلام، ولكن خلافنا الحاضر، مع شديد الأسف بعيد عن روح الإسلام سلباً وإيجاباً، وإنّما هو خلاف بين مصالح ونزاع على أهواء.

٣- إنّه يغيّر ـ لا محالة ـ مقاييسنا الإسلامية، ويقلبها إلى مقاييس طائفية لا إسلامية، فكان لنا ـ كما لا يخفى ـ بصفتنا مسلمين مهتدين بالنور الإلهي والأزلي، وبالقانون الإسلامي العادل، وجهات نظر معيّنة تجاه الحياة، وتجاه ما يدور فيها من أحداث، وما تثور فيها من مشاكل وفتن، ولنا مقاييس معيّنة نزن بها دائماً ذلك، بالميزان الإسلامي الصحيح، ومثل هذا الميزان يجب أن يبقى محفوظاً في نفوسنا، حيّاً في شعورنا وضمائرنا، ما دام الإسلام عقيدتنا والهدف الإسلامي هدفنا وأملنا.

وهذا الميزان الإسلامي، يقتضي الشعور بالجماعة الإسلامية ككل، والشعور بأنّ الانتصار الإسلامي الذي تحرزه أيّ جهة إسلامية بصفتها إسلامية يعدّ نصراً لنا، لأنّه نصر للإسلام، وبأنّ خذلان أيّ جهة، بصفتها إسلامية خذلان لنا، لأنّه تقهقر في الوضع الاجتماعي الإسلامي لا محالة، ولا يفرق في ذلك بين جهة وأخرى أو مذهب وآخر.

في أن الأمر سينغلب، ويتغيّر وجه الميزان، إذا نظرنا من الوجهة الطائفية الضيّقة، وسوف نشعر أنّنا جماعة، والمذاهب الأخرى من جماعات أخرى، بعيدة عنّا بقليل أو بكثير، وسوف لن نشعر بأنّ انتصاراتهم الإسلامية انتصاراتنا، وأنّ اندحارهم في العمل الإسلامي اندحار لنا، وسوف لن نشعر بأنّ خدمتهم للإسلام خدمة لديننا وعقيدتنا.

في حين أنّ هذا ممّا لا يرتضيه الإسلام جزماً ولا يريده ربّ العبّاد حتماً، بعد أن كانت العقيدة الإسلامية تقتضي شعوراً غير هذا الشعور، وإحساساً إسلامياً أعلى مستوى وأوسع أفقاً، هذا بالإضافة إلى ما يخلّفه هذا الشعور من حزازات وأحقاد، وإلى ما يترتّب عليه من صعوبة بالغة في التشارك في العمل الإسلامي والاتحاد في الهدف الديني، والتضامن في سبيل ردّ عادية القوى

السنة الرابعة | العدد ٤٧ و٤٨ | محرم وصفر ١٤٣٦

الجبّارة المتكتّلة للإجهاز على الإسلام وإطفاء نور الله عزّ وجلّ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، وسوف يترتّب على ذلك أنّ كل طائفة بمفردها سوف لن تستطيع أن تحقّق من هذه الأهداف الإسلامية إلا أقل القليل.

وعليه يجب أن ننظر إلى هذا الخلاف الطائفي من أعلى، من وجهة النظر الإسلامية الخالصة، وأن نقيس وجهات النظر المختلفة بمقياس الإسلام، وأن نقدّر مصالحنا ونحدّد فعاليتنا بالمقدار والحدّ الذي يريده الإسلام، وأن نوجّه عواطفنا وانفعالاتنا حيث يوجّهنا ديننا الخالد القويم.

ونحن إذا وطنّا أنفسنا بعمق وإخلاص على ذلك، وما أصعب هذا التوطين وما أدقّه!، نستطيع أن نجني من الثمرات الإسلامية الجميلة الناضجة التي تتيح لأنفسنا ومجتمعنا وسائر مذاهبنا الإسلامية كل خير وفلاح.

١- فإنّنا إذا أخذنا المقياس الإسلامي بنظر الاعتبار، ورأينا ما يتهدّد الإسلام من أخطار عديدة رهيبة، تحاول القضاء على كيانه والإجهاز على عقيدته، نقدّر حينئذ بوضوح ضرورة التضامن بين المسلمين وجمع شمل الجماعة الإسلامية ورصّ صفوفها، بأكبر قدر مستطاع، بشّكل يضمن دفع هذه الغوائل، وردّ عدوّ الإسلام المشترك.

ونحن إذا لاحظنا ذلك كنّا دعاة وحدة وائتلاف لا دعاة فرقة واختلاف، لم نشارك أحد الفريقين في كيل الشتائم والاتهامات على الفريق الآخر، أو استعراض العضلات وإظهار القوّة والجبروت أمامه، كما لن نكون صيادين في الماء العكر، نستغل هذا النزاع في نقله من المستوى المصلحي إلى المستوى المذهبي والعقائدي، باستعراض نقاط الخلاف بين المذهبين والإصرار على وجهة نظر معيّنة، كما يحاول بعضنا أن يفعل.

إنّ كلّ هذه الأعمال، لا تجلب إلا شقّ الصفوف وزيادة الاختلاف، وهي ـ بكل تأكيد ـ غير مرضية من وجهة نظر الإسلام، ولا من قبل الأئمّة الهداة (ع)، أولئك القادة الإسلاميين المقدّسين، الذين سالموا ـ في الغالب ـ الدولة الإسلامية القائمة على انحرافها وفسقها وعدم رضاهم عنها، حقناً لدماء المسلمين وابتعاداً عن الفتنة وتوخّياً لوحدة الصف، لئلا يضعف أساس الإسلام، فيفتح منه عدّة أبواب لدخول الأغيار وشيوع آراء الإلحاد.

٢- ومقاييس الإسلام تدعونا إلى النظر إلى نقاط الخلاف من الزاوية الإسلامية المحضة التي لا يشوبها تعصب لا إسلامي مقيت.

فإذا نظر السنّي من هذه الوجهة العادلة، فسوف يرانا إخوةً له في الدين وشركاء له في الجهاد، وعوناً له على صدّ عادية المهاجمين من أعداء ديننا الحنيف المقدّس المشترك، وسوف يجد فينا فرقةً إسلاميةً مخلصةً لدينها وعقيدتها، وللهدى القرآني والدين المحمدي؛ وعليه ينبغي أن يريد لها الخير والصلاح، وأن يربطه مع أفرادها أواصر المودّة والإخاء، وأن يشاركها العمل الجدّي المثمر في سبيل الهدف الإسلامي المشترك.

وإذا نظرت الحكومة من هذه الجهة؛ كان حقّاً عليها أن تعزل من إداراتها، كل موظّف نفعي مصلحي، أو منحرف لا إسلامي، من دون أن تنظر إلى مذهبه أو تتساءل عن عقيدته ودينه، فإنّ وجود مثل هذا الشخص وتسلّطه على جهة معيّنة من الدولة، يعدّ ـ مع غضّ النظر عن المذهب ـ جرثومةً خطيرةً وداءً وبيلاً، وعضواً فاسداً

يجب استئصاله واستبعاده عن المجتمع إذا لم يمكن إصلاحه وإرشاده، ثمّ هي عليها ـ بعد ذلك ـ أن تؤسّس الجهاز الحكومي على أساس إسلامي، وتستخدم من الموظّفين ما تتوفّر فيه الكفاءة والقابلية والإخلاص الإسلامي، والشعور الطيّب نحو الأمّة الإسلامية والشعب المسلم المسؤول هو عن خدمته، فإنّ الحكومة ـ حينئذ ـ تكون قد قامت بواجب مجيد، يلقيه دينها الحنيف على كاهلها، بصفتها مالكة لزمام الحّكم في البلاد.

وإذا أخذت الحكومة الإسلام بنظر الاعتبار، علمت أنّ لدى دينها القويم منهاجاً كاملاً للحياة، يضمن للدولة بسائر إداراتها وقوانينها وأفرادها وشعبها، نظاماً كاملاً عادلاً يقودهم نحو النور ويهديهم إلى السعادة والرفاه والفوز في الدنيا والآخرة، ومن ثمّ يجب عليها أن تتصدّى لتغيير سائر القوانين إلى ما يوافق الوجهة الإسلامية الخالصة، وأن تتجنّب المواد المنحرفة المجلوبة من وراء الحدود، والموضوعة تحت تأثيرات معيّنة من هنا أو هناك، أو تحت تأثير الأفكار المادّية العامّة التي أوجبتها النهضة الحديثة في أوروبا، فإنّنا ـ ولله الحمد ـ في غنى بديننا وعقيدتنا وقانون إسلامنا عن أوروبا وعن نهضتها وحضارتها، فإذا علمت الحكومة بذلك وعملت عليه فقد أدّت واجباً دينياً مقدّساً وحقّاً من حقوق الأمّة الإسلامية.

وإذا أخذت الحكومة الإسلام أيضاً بنظر الاعتبار، منعت المخالفات الإسلامية التي تقع في دوائر الدولة بمختلف مستوياتها وصلاحياتها، أو التي تقع بيد أصحاب المصالح العامّة، كالبنوك والتجّار والصنّاع والمزارعين كالرشوة والاستغلال والاحتكار والظلم والانحراف عن مقاصد الإسلام، تلك المساوئ التي شاركت في تردّي المجتمع الإسلامي إلى هوّة الانحراف والفساد، مشاركة فعّالة كبيرة.

٣- ونحن أيضاً إذا أخذنا بمقاييس الإسلام وإرشاداته، استطعنا بكل سهولة ويسر، أن نحكم على الحلول التي قد تعرض لحل مشكلة الخلاف الطائفي، أو لأيّ مشكلة أخرى من وجهة نظر الإسلام ومن زاوية المصلحة الإسلامية الخالصة؛ فنعرضها على قواعد الإسلام وتعاليمه لنرى مدى موافقتها معها ومدى مخالفتها لها، فنأخذ بما وافق عقيدتنا وديننا، ونعمل عليه إذا كان تامّ الجهات متكامل العناصر، أمّا إذا كان مخالفاً لذلك، فنطرحه ونعرف أنّه ينتمي إلى جهة أو مبدأ معاد للإسلام.

وأمكننا نحن أيضاً، بهذا الإسلام، أن نخطّ منهاجاً إسلامياً متكاملاً، لحلّ هذه المشكلة الطائفية والتغلّب عليها، أو التغلّب على أيّ مشكلة أخرى حدثت أو تحدث في ربوعنا الإسلامية، وبالطبع فإنّ هذا المنهاج الذي يمكن أن تكون له القابلية في التغلّب على المشكلة الطائفية، يجب أن نضعه بشكل إسلامي مجرّد، لم نأخذ فيه حتى مذهبنا بنظر الاعتبار، لكي يكون مورد الرضا والقبول من قبل إخواننا أهل السنّة؛ لنتّفق معاً في عمل إسلامي موحّد مشترك، للقضاء على مشكلة الطائفية بصفتها المشكلة الحقيقية، وعلى سائر المشاكل الأخرى.

(*) من كتاب: الطائفية في نظر الإسلام، ص٢٧-٦٠، بتصرّف.

الإمام الرضا (ع)

مؤسّس أسلوب جديد في فهم القرآن *

آية الله السيّد أحمد علم الهدى
إمام جمعة مدينة مشهد المقدّسة

هناك ترابط عميق بين القرآن والعترة حسب حديث الثقلين، حيث قيل إنّ فهم أيٍ منهما يتوقّف على فهم الآخر، وأسلوب الأئمّة (ع) في الحياة والتفسير سيّما أسلوب الإمام الرضا (ع) يؤكّد الحقيقة المذكورة؛ لذلك رأينا من الضروري أن نتطرّق في هذا المقال إلى مكانة الإمام الرضا (ع) العلمية والتفسيرية ومساعيه العلمية والثقافية لمنع حدوث انحرافات كلامية وتفسيرية في عهده.

وجه الترابط بين القرآن والعترة

إنّ وجه الترابط بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة واضح، فلا يمكن تفسير القرآن إلا عبر العترة، حيث إنّ التفسير لا يعني التعريف والتوضيح والتبرير والتأويل بل يعني كشف القناع، ولكل من الكلمات المذكورة معنى يخصّها.

فالتفسير يعني كشف القناع ليس عن اللّفظ؛ لأنّ كل لفظ يدلّ على معنى خاص فلا غموض في اللّفظ حتى يكون بحاجة إلى التوضيح وكشف القناع عنه، فكشف القناع يختص بحقيقة محجوبة مستورة تستحيل معرفتها ما دام القناع موجوداً، وفي الحقيقة كشف القناع هو الكشف عن مراد المتكلم ـ وهو الله عزّ وجلّ ـ فليس المقصود هو الشيء المفهوم من اللّفظ وإنّ كان اللّفظ كاشفاً عن مراد المتكلّم إلى حدٍّ ما.

ولكن، إذا كان في اللّفظ شيء من الغموض أو الالتباس، فلا يعبّر عن مراد المتكلّم فيختفي مراده في ستار من اللّفظ، فالهدف من تفسير القرآن هو فهم مراد المتكلم وليس الهدف فهم الدلالات اللّفظية في القرآن بل أحياناً يخفى المعنى عن السامع، هذا هو التفسير.

ولا أحد يستطيع كشف القناع عن مراد ربّ العالمين ـ أي: المراد الذي لا تسعه الألفاظ وهو مستور ـ ولا يفهمه أحد إلا الله والذين ينبع علمهم ووعيهم من الله، لذلك نعتقد ـ نحن الشيعة ـ أنّ تفسير القرآن منحصر في أهل البيت(ع) ولا أحد دونهم يستطيع تفسير القرآن.

علاقة أهل البيت بالقرآن الكريم

تأتي شرعية وجواز ولاية وإمامة العترة من القرآن، فالقرآن هو الذي يؤكّد أنّ الولاية والقيادة منحصرة في العترة وأنّها غير جائزة لأيّ أحد دونهم، فالقرآن يثبت لنا فضائل العترة، ومن يجهل القرآن لا يستطيع بلوغ كنه وعظمة العترة.

ويعني هذا الترابط أنّه لا يمكن معرفة العترة إلا بفهم القرآن، ولا يمكن فهم القرآن إلا بالتوسّل بالعترة؛ لذلك نرى أنّ الأئمّة (ع) عندما كانوا يشعرون بأنّ المخاطب يستمع إلى كلامهم بشك وتردّد فإنهم يأتون فوراً بحجج من القرآن لإثبات كلامهم، ففي رواية مشهورة سأل سائل الإمام الصادق (ع) حول المسح في الوضوء وقال: لماذا تقولون إنّ المسح بجزء من الرأس يكفي ولا حاجة لمسح كل الرأس والقدمين؟ وهنا احتج الإمام المعصوم بالقرآن وأقنع السائل بقوله «لمكان الباء» [وسائل الشيعة، ج١، ص٢٩١]، فالإمام (ع) استشهد بالقرآن إذ جاء فيه ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [سورة المائدة، ٦] وأنّ الباء في الآية الكريمة تعني بعضاً من الرأس، أي: إنّ المسح يكون على بعض من الرأس، ولو أراد الله مسح كل الرأس لقال: «وامسحوا رؤوسكم». فالعترة بحاجة إلى القرآن، بمعنى أنّ حجية كلام الإمام (ع) وإزالة الشك عن المخاطب متوقّفة على القرآن؛ لذلك كان الأئمّة يصرون على الاحتجاج بالقرآن في كثير ممّا يقولون.

كما أنّ الروايات توحي أيضاً بالسماح لنا بالتدبّر في القرآن والاستظهار به، حيث ورد في بعض الروايات أنّ الراوي سأل الإمام (ع) عن قضية ما، فأجابه الإمام في مواضع كثيرة: «أما قرأت القرآن» و «أما قرأت هذه الآية»؟

فسؤال الإمام للراوي عن التدبّر في القرآن وقراءته ومن ثمّ استشهاده (ع) بالآية يؤكّد جواز التدبّر في آيات القرآن، وهذا يشكّل إحدى مبادئ وأساليب التفسير الموروثة عن الإمام الرضا (ع).

استخدام الإمام الرضا (ع) للأساليب التفسيرية في مواجهة نظام الحكم في عصره

كان الإمام الرضا (ع) يعيش في عصر مليء بالتيارات الفكرية والغزو الثقافي والفكري الوافد إلى العالم الإسلامي، فاستغلّت الدولة العباسية تلك الظروف لإضعاف شعبية الولاية والإمامة حيث قامت بخلق منافسين لمذهب الولاية والإمامة، على سبيل المثال: اختلقوا منافسين من الزهاد غير الموالين للعترة لمواجهة زهد وورع الإمام الرضا (ع) حتى يقبل الناس على هؤلاء الزهاد دون الإمام (ع)، كما أنشأوا داخل الأمّة الإسلامية مذاهب فكرية تنافس ـ بزعمهم ـ الإمام (ع)، وهي قضية تصاعدت وتيرتها في عهد المأمون.

كان المأمون يواجه مقام الإمامة والولاية للإمام الرضا (ع) بخطّة مدروسة تهدف إلى اقتلاع نهج الإمامة من أساسه؛ حيث افتعل المأمون مذاهب فكرية وافدة لمواجهة الإمام (ع) فكان (ع) أمام هذا السيل العرم الذي يريد اجتثاث الأصول الإسلامية، فأصحاب المذاهب الفكرية المذكورة كانوا يسوقون كمّاً هائلاً من الأفكار المهمّة في جميع النواحي لتضليل الناس عن الطريق الصواب.

وفي مجال التفسير قام الإمام الرضا (ع) ببيان نهج الاستظهار والفهم من ظاهر الألفاظ وحدّد معالمه كي يكون نهجاً تفسيرياً للأمة الإسلامية سيما الشيعة، وكانت تلك التبيينات تهدف إلى إيضاح مدى إمكانية الاستظهار بكلام الله ومدى جواز أخذ ظاهر الكلام وفهمه وتطبيقه.

نذكر من أساليب الإمام الرضا (ع) التفسيرية وسيرته في استخدام وإطلاق منهج فهم القرآن ما ورد في رواية ابن جهم أنّ الإمام الرضا (ع) حدّد معالم الاستظهار بالقرآن بوصفه منهجاً تفسيرياً، تقول الرواية أنّ ابن جهم سأل الإمام الرضا (ع) سؤالاً كلامياً مرتبطاً بتفسير القرآن وذلك في مجلس مهم للغاية، أمر المأمون بعقده لإجراء مناظرات بين الإمام الرضا (ع) وبين مختلف الأديان والفرق.

هنا سأل ابن جهم سؤالاً لم يكن عن جهل واستعلام بل كان فيه كناية وتعريض بالإمام (ع)، يقول أبو الصلت الهروي: «لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا (ع) أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلا وقد ألزم حجته كأنه قد ألقم حجراً، فقام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه، ١٢١] وقوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنبياء، ٨٧] وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [سورة يوسف، ٢٤] وقوله عز وجل في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [سورة ص، ٢٤] وقوله في نبيه محمد (ص): ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [سورة الأحزاب، ٣٧]؟ فقال مولانا الرضا (ع): ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران، ٧] أما قوله عز وجل في آدم (ع): ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه، وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل، فلما اهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، ٣٣]. وأما قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ إنما ظن أن الله عز وجل لا يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [سورة الفجر، ١٦]؟ أي ضيق عليه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر، وأما قوله عز وجل في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همت بالمعصية، وهم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ يعني القتل ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ يعني الزنا....» [الأمالي،

فالآية تسرد قصة انفراد زليخا بيوسف، وكيفية اهتمام زليخا بيوسف واضحة هنا إذ أنّها زينت نفسها واستعدّت لارتكاب الذنب في الخلوة، ونعلم أنّ اهتمامها بفعل الذنب وقضاء حاجتها من يوسف أفضى إلى العراك معه، إلا أنّ الآية تستخدم ليوسف نفس الفعل الذي استخدمته لزليخا فتقول: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾؛ أي: إنّ يوسف اهتم بزليخا كما اهتمّت هي بيوسف. إلا أنّ هذا الاهتمام والإقبال على زليخا وبالأساس إرادة فعل الحرام، لا يتلاءم مع عصمة الأنبياء.

فالإمام الرضا (ع) يحدّد هنا معالم لفهم ظاهر الآيات، بمعنى أنّ الاستظهار ـ أي: فهم ظواهر القرآن ـ لا ينبغي أن يتعارض مع مبادئنا العقائدية، وإذا رأينا تعارضاً، يجب تجنّب الاستظهار ومراجعة المعصوم.

في الحقيقة إنّ الإمام (ع) في تلك القضية ساق منهجاً تفسيرياً في الاستظهار بالقرآن وفهم ظواهره، ممّا يبيّن أنّ ثامن الأئمّة (ع) أسّس أسلوباً وتيّاراً خاصّاً لفهم القرآن.

(*) صحيفة قدس (العربية)، ذو القعدة ١٤٣٥ هـ ص٣، بتصرّف.

الاستماع وتأثيره المباشر في تعلّم القرآن الكريم

بقلم: الأستاذ حميد كناني

من المسلمات أن الفنون القرآنية وخاصة القراءة والتحفيظ هي نتاجات تجريبية بالدرجة الأولى قبل أن تكون نظرية، لذا فإن ترسيخ الملكات وتثبيت المعلومات مقرون بمرور الزمان ومشروط بمقتضى الأوقات.

والتعليم هو أقوى عامل مساعد على تطوير هذا الأمر وتنوير الطريق للوصول إلى الغاية بأحسن الوسائل الممكنة، فالتجربة هي أصل كل معرفة كما يقال ومن أجل تعلم الفنون القرآنية وخاصة القراءة والحفظ نجد أن للاستماع الدور الأكبر في مجال التعليم وخاصة للأطفال حيث يبدأ مسير النشوء والارتقاء منذ نعومة الأظفار، فالقارئ والحافظ أمامه طريقان متصلان غير منفصلين وقريبان من بعضهما:

أولهما: كثرة الاستماع تلقائيا وبصورة عفوية، وهي الطريقة القديمة ولا زالت متداولة في كثير من المكاتيب في مختلف البقاع الإسلامية، وقد نجحت وأنتجت هذه الطريقة الكثير من أئمة القراءة خاصة أصحاب الأصوات الخالدة.

ولعل العامل الأقوى في نجاح هذه الطريقة وبهذا الأسلوب البدائي هي أن الاستماع مقرون مع الاستمتاع، حيث إن وجود الدوافع والحوافز الذاتية هما من أهمّ العوامل المسببة للنجاح حتى إنا قد سمعنا من كبار أئمة القراءة أنهم تعلموا التلاوة وقرأوا القرآن في المقاهي والمجالس وجلسات السمر أكثر مما تعلموا في المدارس والمعاهد والجامعات، وأن المعيار والمقياس لديهم كان الاستماع والتقليد، حتى إن بعضهم كان يجهل إلى حدّ بعيد أصول وقواعد التلاوة المدونة في الكتب، إلا أنه يطبّقها تقليدا صحيحا ويقرأها كما قرأها أسلافه الذين اتخذهم قدوة وأسوة له في تعلم القرآن الكريم بهذه الطريقة التقليدية.

والأخرى هي: الاستماع وفق النظم التعليمية وهو أيضا مؤثر جدا، وهذه طريقة مستحدثة عندنا أوجدتها الضرورة من باب الحاجة أم الاختراع وأن الفشل طريق النجاح، فمن أجل إيجاد نظام تعليمي حديث ومتطور ويكون قائما ودائما في عطاءاته كان من الضرورة استحداث أساليب غير مسبوقة أو تطوير ما كان من التجارب السابقة؛ إذن فنجاح طريقة الاستماع مشروطة بالاستمتاع من أجل الدوام والاستمرار أي: إن الاستماع يجب أن يكون منهجية قائمة ودائمة تتبعها مدارس القرآن في جميع مراحل تعليم القرآن؛ لأنها ركيزة من أهمّ ركائز ترسيخ الأصوات والألحان وصحة الألفاظ في أذهان التلاميذ، والواقع إنه ليس هناك حدّ للاستماع، والمطلوب هو الاستمرار وتقوية الميول الشخصية والذاتية للتلاميذ، أو بعبارة أخرى: الاستماع مع الاستمتاع.

أما مشكلة ما نحن فيه الآن فهي تكمن في أن المراكز التعليمية الخاصة لتعليم القرآن الكريم ـ من مؤسسات قرآنية أو دور قرآن أو عامة مثل المدارس والمساجد ـ ما زالت تفتقر إلى كثير من هذه الشروط وإن كانت بسيطة وغير معقدة، فالتلاميذ إلى الآن لم يأخذوا حظهم الوافر من الاستماع إلا بصورة تلقائية وعشوائية، وهذا التقليد يأتي عفويا حسب الميول الشخصية، فقلما نجد في المدارس الحكومية أو المساجد غرفة تسجيلات ـ مثلا ـ.

والتسجيلات الموجودة في أغلب مؤسسات القرآن يغلب عليها طابع العرض والزخرفة وكأنها نقوش زينة أو ديكورات ـ بتعبير آخر ـ أكثر مما يغلب عليها الاستعمال لتكون جزءا لا يتجزأ من برنامج التدريس العملي، وهو المطلوب دائما اتباعه وانتظار النتائج الحاصلة من ورائه.

فالاستماع هو الضالة المنشودة والمقصودة والمشهودة في آن واحد، من أجل تقديم فن قرآني راق وعلى مستوى كبير ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل، ٥٣]؛ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة، ١٠٥].

الجمعية العاملية لإحياء التراث

معهد القرآن والعترة

إن الجمعية العاملية لإحياء التراث في لبنان هي جمعية ثقافية خيرية بإشراف سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ قاسم محمد مصري، تأسست عام ٢٠٠٥ م وتهدف الى بناء الأجيال وفق المعايير القرانية لإيجاد مجتمع صالح يتحلى بالمبادئ والقيم والفضائل ومن لجانها:

١ - معهد القران والعترة (ع) بإشراف سماحة السيد علي أمين أبوالحسن.

٢ - معهد الامام الباقر (ع) للدراسات والتحقيق بإشراف سماحة السيد حسين نجيب محمد.

٣ - معهد الخطابة الحسينية بإشراف سماحة السيد مرتضى سندي.

٤ - لجنة التربية الأسرية بإشراف سماحة الشيخ نعيم نعمة.

٥ - لجنة الخدمات الاجتماعية بإشراف الحاج خليل وهبي. ولكل لجنة إدارتها الخاصة ونشاطها وميزانيتها.

قال رسول الله (ص) : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (مستدرك الوسائل ج ٤ ص٢٣٥)، من هذا المنطلق قررت إدارة معهد القران والعترة (ع) أن تواصل التفاعل مع القرآن الكريم بالبرامج التعليمية والعملية، وفق تصور شامل يخدم أبناء المجتمع وشرائحه ويبني فيهم روح الولاء ويساهم في نشر الثقافة القرآنية ويملأ قلوبهم بحب القرآن الكريم.

الهيكل الاداري لمعهد القرآن والعترة

يتكون من المشرف العام والمشرف التنفيذي ومجموعة من اللجان (اللجنة التعليمية، الثقافية، المالية، الاعلامية، العلاقات العامة، الأنشطة الترفيهية)»

أهداف معهد القرآن والعترة

١ - تعليم القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وتجويداً.

٢ - نشروغرس الثقافة والعلوم القرآنية بمختلف الصور.

٣ - تقديم برامج قرآنية متنوعة ومتميزة تربط جميع شرائح المجتمع بالقرآن الكريم بأساليب مختلفة.

٤ - إصدار نشرةً وكتباً تعني بالبحوث القرآنية.

٥ - إبراز وتبني الكفاءات القرآنية وتنمية المواهب والإبداعات.

من نشاطات المعهد:

١ - الدورات القرآنية الصيفية في حفظ القرآن وتجويده وتفسيره للبنين والبنات الذين يصل عددهم الى ١٣٠٠ مشاركاً ويهدف إلى تزويد براعم المستقبل بأساس روحي متين والأخذ بميولهم نحو الطريق المستقيم ويدرس فيها المدرسون من لبنان ومن الجمهورية الاسلامية الايرانية والعراق وسوريا.

٢ - الامسيات القرآنية: يعشق المؤمنون سنوياً الموسم الرمضاني القرآني اللذي يحييه معهد القرآن والعترة بالأمسيات ومحافل الأنس بالقرآن في لبنان ويعمل المعهد عادة على استضافة أشهر القرّاء والحفّاظ والتواشيح من لبنان والجمهورية الإسلامية الإيرانية والعراق وسوريا ويتم إجراء الأمسيات وفق برنامج منظّم يتضمن الفقرات التالية:

١- تلاوات قرآنية.

٢- حفظ القرآن الكريم.

٣- فرقة التواشيح.

٤- مسابقة قرآنية.

٥- توزيع الهدايا للحضور.

٣ - المسابقة السنوية في الحفظ والتلاوة: وتعد دعامة اساسية وحافزاً مشجعاً لإحياء العلاقة مع القرآن وتعد مجالاً تنافسياً لصقل وتقييم قدرات الحفّاظ والقرّاء.

٤ - الجلسات القرآنية الاسبوعية للأخوة والأخوات طوال السنة.

٥ - الدورات التخصصية في دار القرآن الكريم للعتبة الحسينية المقدسة: طبقاً لمنهجية دوراتها التعليمية؛ ومن أجل تزويد المعلمين والمعلمات بالمباحث العلمية العالية والحصول على التألق العلمي والمهني أرسل معهد القرآن والعترة طاقمها التعليمي المتخصص من الاداريين والمعلمين والمربين والطلاب المتميزين الى العراق للمشاركة والاستفادة من الدورات العالية التي نظّمتها دار القرآن الكريم للعتبة الحسينية المقدسة.

وفود قرآنية وعلمائية في ضيافة الدار

زار دار السيدة رقية (ع) للقرآن الكريم جملة من الشخصيات القرآنية والعلمائية اطلعوا فيها على نشاطات الدار وما حققته من إنجازات وجرت معهم اتفاقات عديدة تخدم المسيرة القرآنية وهم:

سماحة الشيخ هلال المؤمن أحد علماء البلاد في مدينة الدمام.

مشرف معهد والقرآن والعترة التابع للجمعية العاملية اللبنانية سماحة السيد علي أمين أبو الحسن يرافقه سماحة الشيخ أمين محمد نجم.

مدير التحرير التنفيذي لمجلة المصباح القرآنية الصادرة عن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة الدكتور حميد مجيد هدو ورئيس تحريرها الدكتور محمد علي هدو.

الناشط القرآني الأستاذ مهدي صليل ورجل الأعمال ماجد المسكين.

قوانين وضوابط المسابقة:

- توجد خمس درجات وأربعة أسئلة؛ لكلّ سؤال درجة واحدة، ولكتابة الاسم بخط جميل درجة واحدة.
- ثلاثة أسئلة تجد أجوبتها في هذا العدد من المجلّة عدا السؤال الأوّل.
- أقلّ درجة للدخول في السحب هي: الحصول على أربع درجات.

الفائزين في العدد ٤٦:

محمد حسين الروايح

السيد أحمد الله الموسوي

جعفر الدهان

الإسم: ..... العمر: .....

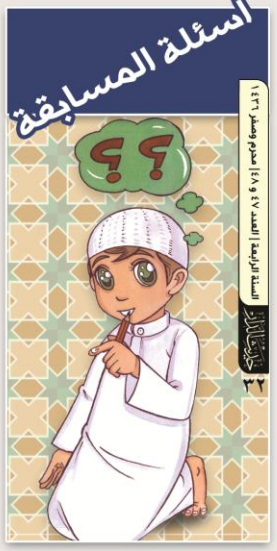

اختر الإجابة الصحيحة:

١: من القائل: «كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا»؟

.....

٢: (فتح الفتوح) سمّي عند:

- ☐ ١. دخول النبي (ص) للمدينة المنوّرة.
- ☐ ٢. دخول النبي (ص) لمكة المكرمة.
- ☐ ٣. الانتصار في معركة بدر.

٣: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾:

- ☐ ١. دخول الناس في الدين أحادى وفرادى.
- ☐ ٢. دخول الناس في الدين جماعات.
- ☐ ٣. دخول الناس في الدين جماعات وفرادى.

٤: متى تسمّى القلقلة كبرى؟

- ☐ ١. وذلك عندما يكون الحرف في وسط الكلام، سواء كان في وسط الكلمة أو في نهايتها مع الوصل.
- ☐ ٢. وذلك عندما يكون الحرف عند الوقف في نهاية الكلام.
- ☐ ٣. وذلك عندما يكون الحرف في نهاية الكلمة.

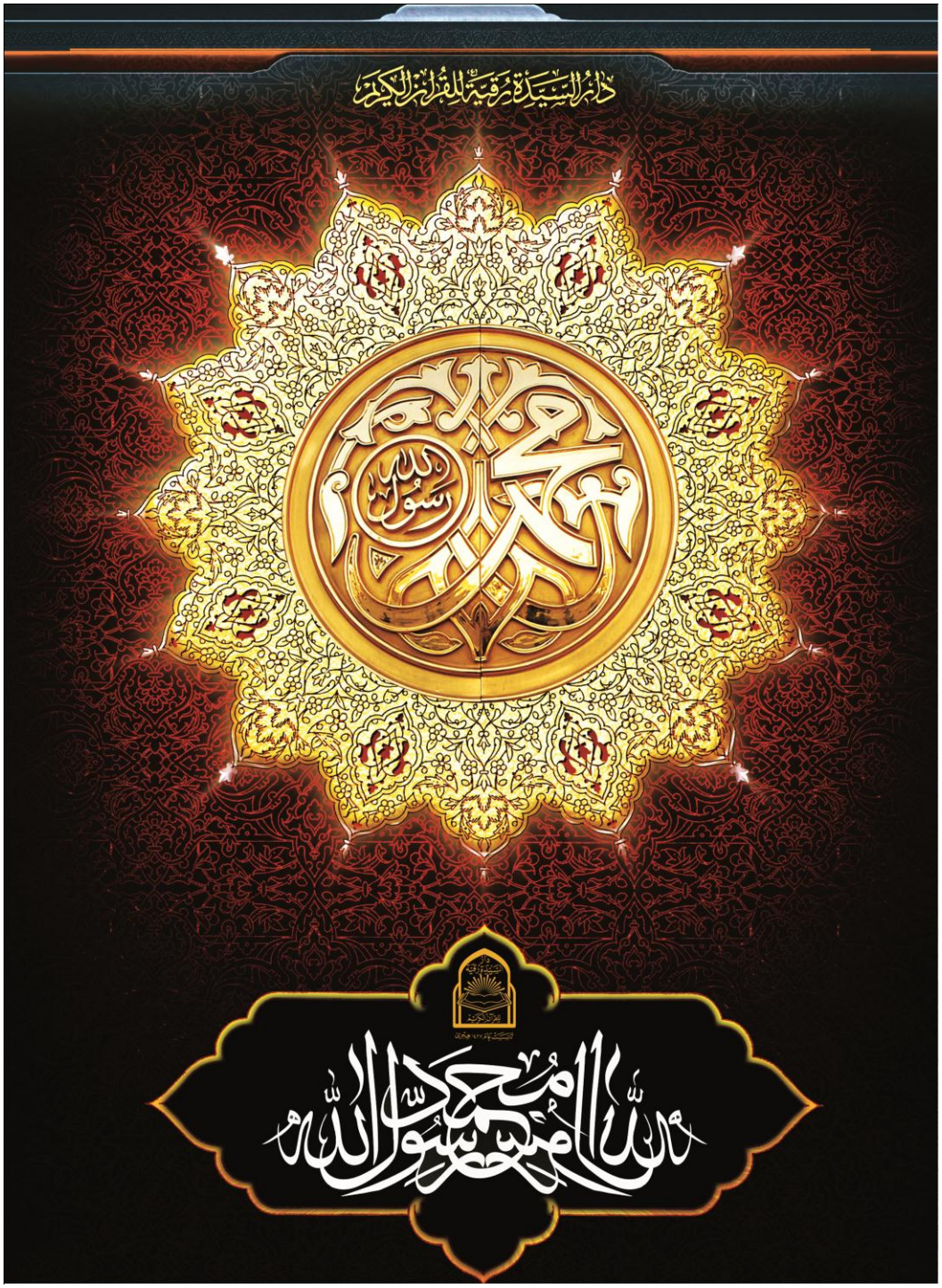
دار السيدة رقية للقرآن الكريم
محمد رسول الله
محمد رسول الله

المشرف العام: الشيخ عبدالجليل المكراني

الإشراف والمتابعة: الشيخ أحمد الخليفة

رئيس التحرير: الشيخ عباس الجندل

هيئة التحرير:

السيد حكمت الموسوي

الشيخ حسين الحاجي

طباعة النص: عباس الجعفري

التصميم والإخراج: السيد حسين العلوي

© **جميع الحقوق محفوظة لدار السيدة رقية(ع) للقرآن الكريم**

هاتف: ٣٧٧٣٨٦٧٧ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٧٨٣٣٥٢٨ ٢٥ ٩٨+

DAAR_QURAN

+98 933 813 1045

www.ruqayah.net

RUQAYAH

info@ruqayah.net